الصِّراعُ بين الحضارات
حقٌّ واقعٌ أم ادعاءٌ كاذب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.

فقد كثر مؤخراً الحديث عن الصراع بين الحضارات .. وتحديداً بين الحضارة الغربية الرأسمالية النصرانية الديمقراطية وبين الحضارة الإسلامية .. هل هو حقيقة واقعة لا مفر منها .. أم أنه مجرد ادعاء وتوهم لا أساس له في عالم الوجود ..؟!

وللجواب عن هذا السؤال الهام الذي شغل عدداً من أوساط المثقفين والباحثين، لا بد أولاً من أن نحدد معنى مفهوم الحضارة.

فأقول: الحِضارة والحَضارة لغة: هي الإقامة في الحضَر، والحضَر خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سُميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار وعمران، بخلاف الباد في البادية فهو في تنقل دائم يبحث عن الكلأ والماء، لا يعرف القرار ولا العمران.

ويُقال: فلان حضَري إذا كان من أهل الحاضرة، وفلان بدوي إذا كان من أهل البادية، والحضري لما تميز به عن البدوي بالثبات والإقرار وعدم التنقل والترحال فإن ذلك ساعده على أن يثري حضارته مقر إقامته بجميع مظاهر النمو والتطور، والإبداع العلمي والفني والعمراني، والاجتماعي .. فالحضارة هي محضن كل تطور أو إنجاز إنساني[1].

أما اصطلاحاً: فالحضارة هي عبارة عن مجموع المفاهيم، والتصورات، والعقائد، والقوانين، والمبادئ، والعادات التي تشكل سلوكاً معيناً ومحدداً عند الإنسان، وتحدد له طريقة معينة في الحكم والحياة.

فالمرء إذا تصرف بطريقة صحيحة راقية أخلاقية ومسؤولة .. يُقال عنه هذا إنسان متحضر .. وإذا تصرف بطريقة خاطئة، متخلفة، غير أخلاقية ولا مسؤولة .. يُقال عنه هذا إنسان متخلف .. همجي .. غير متحضر.

---

[1] أنظر لسان العرب، والمعجم الوسيط.

فالسلوك الإنساني .. أيَّاً كان نوعه .. وكانت نتائجه .. ليس هو الحضارة .. وإنما هو عبارة عن نتاج المفاهيم والتصورات الحضارية التي ينتمي إليها ويعتقد بها.

فالإنجاز العلمي التجريبي ـ قديماً وحديثاً ـ يشترك فيه جميع بني البشر .. وأسبابه مبذولة للجميع .. وبالتالي فهو ليس دليلاً ولا مقياساً على تحضر أو حضارة شعب من الشعوب .. وإنما هو دليل على جزء من تلك المفاهيم والقيم الحضارية التي ينتمي إليها ذاك الشعب أو غيره.

فالآلة المصنَّعة .. مهما كانت ضخمة وهامة ومتطورة .. ليست هي الحضارة .. وإنما المفاهيم والقيم والتصورات .. التي كانت سبباً في وجود هذه الآلة .. والتي تحكم وتحدد الطريقة التي تُستخدم بها هذه الآلة .. هي الحضارة وهي التحضر!

فالذي يُصنِّع سلاحاً فتاكاً مدمراً .. ثم يستخدمه لأغراض الشر والفساد والتخريب في الأرض .. ولأغراضه الشخصية الذاتية .. فهذا رغم ملكه لهذا السلاح الفتاك وتصنيعه له .. فهو إنسان غير متحضر .. لا يُمكن أن يُنسب إلى الحضارة والتحضر في شيء .. ولو نُسب مجازاً فهو يُنسب إلى حضارة متخلفة همجية غير راقية .. ولا إنسانية!

نقول ذلك لأن كثيراً من الباحثين فضلاً عن غيرهم يقيسون الحضارة والتحضر بمدى الإنجاز والتطور العلمي، ويظنون أن آلات التصنيع المتقدمة .. والتطاول في العمران .. التي يتمتع بها مجتمع من المجتمعات هي الحضارة .. وهي دليل على التحضر والرقي .. وهذا خطأ فاحش شائع لا بد من تصحيحه وتداركه!

وعليه فإننا نقول: الصراع بين الحضارات هو في حقيقته صراع بين المفاهيم والتصورات والقيم والمبادئ .. والعقائد .. المتناقضة المتضاربة .. والتي تحدد معالم وطريقة الحياة لكل حضارة أو أمة من تلك الحضارات أو الأمم.

هو صراع وتدافع بين مفاهيم وقيم الشر والظلم والطغيان وأتباعها من جهة وبين مفاهيم وقيم الخير والعدل وأتباعها من جهة أخرى.

هذا النوع من الصراع والتدافع بين الحق والباطل .. وبين العدل والظلم .. وبين المعتدي والمُعتدى عليه .. وبين الفساد والإعمار .. قائم وموجود منذ أن خلق الله تعالى إبليس .. وآدم

[illegible]

[2] السلسلة الصحيحة: 2874. وقوله " فيدخلونهم الإسـلام " أي طواعيــة لا إكراهــاً .. إذ لا إكــراه فــي الــدين .. لكــن القيــد والسلاسل كـانت سـبباً لهـم فـي التعـرف علـى عظمـة وأخلاق الإسلام .. ومن ثم الدخول فيه طواعيـة .. فـرب ضـارة نافعـة .. هكذا ينبغي أن يُفهم ويُفسر الحديث.

[illegible]

[3] فإن قيل علام خصصت الحديث عن الحضارة الغربية الرأسمالية النصرانية .. والمقارنـة بينهـا وبيـن الحضـارة الإسـلامية .. دون غيرها من الحضـارات السـائدة فـي العـالم، كالحضـارة الصـينية الشـيوعية، والحضـارات الوثنيـة البوذيـة والهندوسـية .. أو الحضارة اليهودية؟!

أقول: لأسباب عدة: منها: أن هذه الحضارات لا توجد لها قيم حضارية تقوى علـى الوقـوف أمـام الحضـارة الإسـلامية ومـدها الثقـافي والقيمـي .. ولا ذاك الرصـيد الثقـافي المعتـبر الـذي يسـتحق البحـث والنقـاش. ومنهـا: أن مجمـوع هـذه الحضـارات دخلت كحليف وتابع للحضارة الغربية النصرانية الرأسـمالية فـي حربها القديمة الحديثة ـ المعلنة والمبطنـة منهـا ـ ضـد الإسـلام وحضـارته، فهـم بعضـهم أوليـاء بعـض فـي أي حـرب تُشـن ضـد الإسلام وحضارته. ومنها: أن للحضارة الغربية النصـرانية تاريـخ قديم ومليء بالكيد والحرب والعداء للإسـلام وحضـارته .. وهـي بين الفينة والأخرى تحن لإحياء وتجديد هذا التاريخ .. وبخاصة إن توفرت لديها القوة المادية التي تمكنها من فعـل ذلـك، كمـا هـو مشاهد في واقعنا المعاصر. ومنها: أن الملاحم الكبرى سـتكون مع القوم .. مع الروم .. عند أبواب الشـام .. وذلـك قبـل ظهـور المسـيح الـدجال ونـزول قـاتله عيسـى بزمـن قليـل .. يـوم لا يُقسم ميراث، ولا يُفـرح بغنيمـة لشـدة القتـل والقتـال، وكـثرة المقتولين .. كما هو ثابت فـي أحـاديث نبويـة عديـدة صـحيحة ..

لعلنا نأتي إلى ذكر بعضـها إن شـاء اللـه .. فهـم أعـداء الماضـي والحاضر والمستقبل!

[illegible]

[4] نشرت " BBC " في موقعها على الإنترنت مقالاً بعنوان" أساس نيويورك الإفريقي "، جاء فيه: تقع بقايا عشرين ألف

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [4]

[illegible] [5]

[illegible]

رجل وامرأة تحت شوارع نيويورك المزدحمة لمدة تربو عن القرون الثلاثة في انتظار أن تروي قصة العبودية في المدينة ... ا- هـ. فأي تاريخ لحضارة تُشيد عمرانها على مقابر جماعية .. ومجازر ارتكبت بحق الآلاف من بني البشر، لا ذنب لهم سوى أن بشرتهم سوداء .. وما أخبار سجن " أبو غريب " المشينة واللاأخلاقية في العراق .. وأخبار سجون جونتناموا في كوبا .. عن مسامع الناس ببعيدة؟!!

[5] ولكن هذا العدل مقصور على التعامل فيما بينهم داخل بلدانهم .. بخلاف تعاملهم مع الآخرين خارج =

= بلدانهم، فهو قائم على العدوان، والظلم، والإرهاب .. والانتهاكات لأبسط مقومات حقوق الإنسان .. وما أكثر الشواهد المعاصرة الدالة على ذلك لو أردنا الاستدلال .. بينما عدالة الإسلام فهي تلزم المسلمين بالعدل فيما بينهم ومع الآخرين ممن عاداهم وخاصمهم .. كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾المائدة:8. من هنا تكمن القمة والعظمة للحضارة الإسلامية التي تلتزم العدل مع من خالفها وعاداها كما تلتزمه مع نفسها وأبنائها!

[6] وأنا أكتب هـذا المقـال استـوقفني مقـال نُشـر فـي جريـدة " الشـرق الأوسـط " بتاريـخ 6/5/2004، للأميـن العـام للمجلـس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر ـ كما ورد التعريف عنه ـ عبد

[illegible]

الصبور مرزوق، يقول فيه: لا جدوى من وراء حوار الأديان والحضارات؛ لأنه حوار أشبه بحوار الطرشان، وهو مضيعة للوقت .. ا- هـ.

أقول: هو أشبه بحوار الطرشان، وهو مضيعة للوقت .. لأن الغرض منه طمس الحقائق .. وإلغاء فكرة الصراع والتدافع بين الحق والباطل .. وحضارة كل منهما .. ولأن الحوار لم يعقد على أسس علمية وعلى نية وقصد بيان الحق فيما تم الاختلاف فيه .. وإنما يُعقد للمداهنة والمجاملة .. وتحكيم الهوى .. ولتذويب مفهوم العقيدة الإسلامية أكثر فأكثر .. ومفهوم الولاء لهذه العقيدة .. ولتثبيت شرعية باطل الآخرين في أذهان الشعوب والأجيال القادمة .. ولتقريب الحق والباطل إلى أقرب نقطة تتوسطهما، وليس لأطر الباطل إلى الحق .. لذلك لا نجد لهذه الحوارات الحضارية بركة ولا نفعاً .. وهي أشبه بحوار الطرشان، زادها الله طرشاً!

[7] **بعد هذه المعركة يخرج يأجوج ومأجوج .. وتظهر فتنتهم .. إلا أنهم يزولون بسبب كوني يشاؤه الله تعالى ويُقدره رحمة بالمؤمنين .. " فيرسل الله عليهم النَّغَف في رقابهم، فيصبحون فَرْسى كموت نفسٍ واحدة " ومن دون أن تحصل أية مواجهة بينهم وبين أهل الحق .. لذا قلنا أن آخر معركة بين الحق والباطل هي المعركة التي يَقتل فيها المسيحُ المسيح الدجال.**

أما أن الصراع والقتال والجهاد مستمر إلى أن يأتي أمر الله .. فهو لقوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "مسلم.

ولقوله ﷺ:" لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون " مسلم.

ولقوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة "مسلم.

وأما الدليل على ظهور الدجال .. ونزول عيسى ﷺ وقتله للدجال فهو لقوله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[8] فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث، لا يُفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فيما هم يقتسمون الغنائم، قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح[9] قد خلفكم في أهلكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام، خرج، فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فأمهم، فإذا رآهم عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده[10] فيريهم دمه في حربته " مسلم.

ولقوله ﷺ:" :" ليس بيني وبينه نبي ـ يعني عيسى ـــ وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع، إلى

---

[8] **موضعان بقرب حلب.**

[9] **المراد به المسيح الدجال، كما جاء ذلك صريحاً في رواية ثانية.**

[10] **أي يقتله الله بيد عيسى ابن مريم عليه السلام.**

الحمرة والبياض، بين ممصرتين[11]، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب[12]، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية[13]، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة يتوفى فيصلي عليه المسلمون[14]".

وأما الدليل على قتل اليهود ممن يكونون مع الدجال يومئذٍ، وقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله تعال ورائي يهودي فاقتله، فهو لقوله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم[15]! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد[16] فإنه من شجر اليهود " مسلم.

وقال ﷺ:" قال عيسى افتحوا الباب فيُفتح، ووراءه الدجال، معه سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ويقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء؛ لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة ــ إلا الغرقدة؛ فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله "[17].

أما أن القتال والصراع سيتوقف بقتل وقتال الدجال ومن معه .. ومن بعدها سيعم الأمن والسلام

---

[11] ممصرتين: ثياب فيها صفرة خفيفة.

[12] أي يكسره، ويمنع من رفعه كشعار دال على الكفر والكذب.

[13] فهو لا يقبلها من الكفار، فإما الإسلام وإما القتل والقتال.

[14] صحيح سنن أبي داود: 3635.

[15] وليس يا عربي أو يا كردي، أو يا تركي .. أو يا فارسي .. وإنما يا مسلم .. يا موحد .. والحديث فيه أن التحرير الكامل سيتم على أيدي المؤمنين الموحدين .. وليس على أيدي الزنادقة العلمانيين .. ولا الخونة المنافقين!

[16] ما أكثر زراعة اليهود في فلسطين لهذا النوع من الشجر .. شجر الغرقد!

[17] صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه " قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى ﷺ ".

والرخاء .. فهو لقوله ﷺ:" لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق،ظاهرين على من ناوأهم، حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال "[18]. فكون آخر الطائفة الظاهرة المنصورة تقاتل المسيح الدجال .. فدل أنه ليس بعد قتال الدجال قتال.

ولقوله ﷺ:" فيكون عيسى ابن مريم ﷺ في أمتي حكَماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حُمَةَ كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره.

وتُفِرُّ الوليدةُ الأسدَ فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها.

وتملأ الأرض من السِّلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فتُشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، يكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات. قالوا: يا رسول الله! وما يرخص الفرس؟ قال: لا تُركب لحرب أبداً. قيل: فما يغلي الثَّور؟ قال: تحرث الأرض كلها "[19].

وأما الدليل على أن عيسى ﷺ يمكث بين المسلمين أربعين سنة .. ثم يتوفاه الله تعالى .. ثم يأتي أمر الله فيرسل ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير تقبض أرواح المؤمنين .. ثم تقوم القيامة على شرار الخلق، فهو لقوله ﷺ المتقدم:" فيمكث في الأرض أربعين سنة يتوفى فيصلي عليه المسلمون ".

ولقوله ﷺ:" فينما هم كذلك ـ أي في النعيم الذي عم وساد بعد الحرب مع الدجال وهلاك يأجوج ومأجوج ــ إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارُج الحمر، فعليهم تقوم الساعة " مسلم.

---

[18] صحيح سنن أبي داود:"2170".

[19] صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه " قصة المسيح الدجال، ونزول عيسى ﷺ ".

ولقوله ﷺ:" إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان إلا قبضته " مسلم.

وعن عبد الرحمن بن شُماسَة المهري قال: كنت عند مسلمة بن مخلّد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم. فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر فقال له مسلمة: يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله. فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول:" لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك "، فقال عبد الله: أجل ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة " مسلم.

فيكون المراد من قوله ﷺ:" إلى يوم القيامة " أي " أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب، والله أعلم "[20].

وبعد، هذا هو مبدأ الصراع .. وهذا هو منتهاه .. وهذه هي حقيقته .. راياته واضحة المعالم .. لا مجال فيه للجحود أو النكران أو التأويل أو الهروب .. لا بد للأمة ــ إن أرادت أن تستأنف حياة عزها ومجدها وسؤددها ــ من أن تروض نفسها لتحمل مسؤولياتها تجاه دينها .. وأرضها .. وحرماتها .. ووجودها .. وإلا فلتروض نفسها لمزيدٍ من الذل والنكبات، ومزيد من دفع الضرائب الباهظة للباطل وأهله؛ تدفعها من دينها، وأبنائها، وعِرضها، وعزتها، وكرامتها، ومالها، ووجودها .. على موائد الطواغيت الظالمين .. والأعظم من ذلك كله أنها بذلك تعرض نفسها لغضب وسخط ربها ﷻ .. اللهم إني قد بلغت فاشهد .. اللهم إني قد بلغت فاشهد.

---

[20] قاله النووي في شرحه لصحيح مسلم:2/132.

وصلى الله على سيدنا ونبينا وقائدنا ومعلمنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

20/3/1425 هـ. **عبد المنعم مصطفى حليمة**
9/5/2004 م. **أبو بصير الطرطوسي**

www.abubaseer.com